مقدمة

حينمـا نبدأ هذه الرحلة الطيبة المباركة مع القلب فإن خير ما نتزود ونسترشـد به فـى رحلتنا هو ما ورد عن الصفـات والخصائص الكامنة داخل هذا القلب في:

- أشـهد أن لا إله إلا الله - عزوجل - وأشـهد أن سيدنا محمدًا - عبد الله ورسـوله.. أرسـله بالهدى، ودين الحق، وجعله منارة منيرة، بل شمسًا مضيئة للخلق أجمعين.

- وبعدُ.. فإن الله تعالى شـرف العربيـة الفصحى مرتين، مرةً حين ألهمها لعرب الشـمال - إلهامًا[1]، ومرة حين أنزل تعالى القرآن الكريم بـكلام.. تماثل ألفاظُ في اللغة العربية -ألفاظَـهُ. وهذا يعنى أن القرآن لم ينـزل باللغـة العربية لأن القرآن كلام الله، وكلام الله قديم. أما اللغة العربيـة فحادثـة ولا ينزل القديـم بالحادث[2]. وقد كانـت إلهامًا لأن أى لغـة بشـرية.. لا يمكن أن تحمل معانىَ القـرآن، لأن القرآن.. فيه جمـال وجلال، وفيه روح، وحوله هالة من نور.. لا تسـتطيع تأديتها لغات البشـر. ولأن لغات البشر متحولة، ولو كانت الفصحى متحولة..

---

(١) كتبـت ثلاثـة بحوث في مجلة (هدى الإسـلام) - الأردنية.. دللت فيها على أن العربيـة - إلهـام - من الله تعالى. وهى الأعداد (٥، ٦، ٧) لعام ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م وأوردت هـذه البحـوث، في كتابـى: (العربيـة الفصحى) - مرونتهـا، وعقلانيتها، وأسباب خلودها، ٧٥ - ١٠٣.

(٢) انظر: كتابى السابق - مبحث: أحقًا - أن القرآن أُنزِل باللغة العربية؟

لترجم القرآن إلى كل صورة متحولة. وعندئذ.. لا يعود قرآنًا، لأنه يفقد بعض مزاياه التى أوردناها فى السبب السابق، ويعتريه ما يعترى ما يترجمه أو يؤلفه البشر من خطأ، وقصور. وليس معنى خلودها أن القرآن نزل بها بل خلدت لكى يفسر بها كلام القرآن - لم ينزل القرآن بها، على ما أسلفنا.

- وقد جد علماء مسلمون، منذ منتصف القرن الهجرى الأول، بدءوا جمع اللغة. فجمعوها من لغة سبع قبائل فقط، لأنها هى اللغات التى نزل القرآن، وألفاظٌ من كلٍ منها يماثل ألفاظًا فى القرآن. فكان جمعهم للغة هادفًا، وهو الحفاظ على اللغة التى يفسر بها كلام القرآن، للحفاظ على القرآن، غضًا طريًّا.

- بَيْدَ أن ابن خلدون - رحمه الله تعالى - لم يكن مما قام فى نفسه - الاهتمام بالحفاظ على هذه اللغة خلافًا لاهتمام القدامى - لأن ابن خلدون لم يكن مفكرًا «إسلاميًا» بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة؛ فلم يكن همه، فى كل ما كتب أن يمهد الطريق للإسلام، ليصل إلى قلوب الناس، وإنما كان اهتمامه أن يذكر الحقيقة المجردة. مع أن كل الحقائق لا تخالف الإسلام العظيم. أما الوقائع.. فبعضها يخالف الإسلام، فليس كل الوقائع.. حقًا، بل ما أكثرَ الوقائعَ التى يفعلها البشر، وهى مدابرة للحق، وقد تكون مناهضة للحق.

باحث محايد:

- وإنما الرجل كان أقرب إلى الباحث «المحايد» الذى لا يدرس الأشياء فى ضوء «مرجعيات»، ولا ليصل بينها وبين مرجعيات-!،

وإنمـــا كان باحثًـــا ينظر إلى الأشـــياء في ذاتها، مســـتقريًا، واصفًا، محللًا، معللًا، ومن هنا فقد كان فاقدًا «لمؤشر» الاتجاهات في مجلد (مقدمته) هذا المؤشـــر الذى يصل به إلى بر الأمان برّ الإسلام العظيم. ولعل هذا هو السبب الذى جعل الغربيين يهتمون بدراسته، ويُنوّهون بعبقريتـــه، كما كان موقفهم من المتفلســـف ابن رشـــد، لأنه (أعنى: ابن رشـــد) قد غلب الحكمة على الشـــريعة، أى غلب الفلسفة على الدين الإسلامى.

– ولهـــذا.. جاءت بعض آرائه (أعنـــى ابن خلدون) فى اللغة.. غير صحيحة، ولكن جاءت له نظرات أخرى صائبة، وقال آراءً ثالثة ســـبق بها اللغوى الغربى تشومسكى بزيْدٍ على خمسة قرون.

– وكما كان لابن خلدون.. آراء فى اللغة.. ســـبق بها تشـــو فقد كان لناقد ولغوى كبير آخر آراء ســـبق بها تشو بثمانية قرون، هو الإمام عبد القاهر الجرجانى، وكل ذلك.. وارد عنه قول فى البحث.

– والحق أننا أمة.. فقدت الإبداع منذ القرن الرابع الهجرى، إلا من منـــارات قليلة هنا وهناك تجاهد لتمحوَ الظلمـــة، ولكن.. هيهاتَ! من هـــذه المنارات هاذان العلمـــان الكبيران الســـابقان – الإمام الجرجانى، وابن خلـــدون.. فقدت الإبداع لأنها فقـــدت التفكر، والتدبر، والتفهم، وفقدت القدرة على الشك، والنقد، ولأنها فقدت القدرة على «التحليل». إلا من رحم ربك، وهم قلة بالقياس إلى حضارة تمتد على مدى خمســـةَ عَشَـــرَ قرنًا، دون انقطاع. إن ندرة العقول المبدعة فى تاريخ الإســـلام.. لَشيءٌ يصعق الجنان، ويدل على بؤس فى التفكير والبرهان.

– وبسبب هذا.. فقد قبل العلماء كل الروايات تقريبًا التى وردت فى سيرة ابن هشام، عن رسولنا العظيم – صلى الله عليه وسلم – وفى العهد المكّى خاصة، وبعضها كاذب[1] وقبلوا طامات من الأخبار فى التاريخ.

– وبسبب هذا – أيضًا فلم يخطر ببالهم أن يناقشوا مفكرًا كبيرًا كابن خلدون، وكأنّ المفكر.. نبى معصوم. ولهذا.. عللوا لعدم استفادة الأجيال من (مقدمته) بتعليلات لا تدل على وجاهة نظر، ولا بعد عن الغرر.

– .. وبسبب هذا – أيضًا – فقد انسخطنا أمام ما يأتينا من «الغرب» فما يقوله علماء الغرب، سواء أكانوا من الدرجة الأولى كهذا اللغوى – تشو – (الذى ننظر فى آرائه) أم كانوا من علماء الدرجة الثانية، بل والثالثة، (كعموم المستشرقين – رضى الله عنهم–، أو سخط الله عليهم، بقدر إساءتهم لحضارة هذه الأمة) هو –عندنا – الحق المبين، والصدق الرصين!.

الانسخاط أمام تشو:

.. ومما يصرخ بهذا الانسخاط أن المرء لا يقرأ كتابًا، ولا بحثًا، ولا نشرة، فى اللغة أو النحو، لباحث عربى معاصر. جاء بعد تشو إلا وهو يحشر اسمه حشرًا فى بحثه، ويحشر معه بعض مصطلحاته – كمصطلح النحو التوليدى، والنحو التحويلى، والقدرة اللغوية، والأداء اللغوى، والفطرية فى اللغة، والشمولية. والرجل تشو على أنه فَصَّلَ كثيرًا.. لم يأتِ بجديد–!، فكل ما قدمه من أفكار صحيحة حول اللغة.. فقد وردت عند العالميْن الكبيرين السابق ذكرُهما، والسابقين،

---

(١) لى كتاب أُوشك على الانتهاء منه، عنوانه: [العصمتان] بيّنتُ فيه كلّ الأخطاء والأكاذيب، فى سيرة الرسول المصطفى. فى العهد المكى.

بقــرون متطاولة، على هــذا الباحث الغربى الجــادّ. ولولا أن الغرب.. يدير ظهره لكل ما يأتى من المســلمين، فلا يقرأ ما كتبوا، وما يكتبون، لما عكف على دراسة هذا الباحث الجاد - وَحْدَهُ، ولأضاف إليه ترجمة لكتابىْ علمىْ الإسلام السابقين.

علماءُ الغرب يضلون:

- ومما يدل على أن علماء الغرب يضلون -أحيانًا، وخاصة فى مجال الفكــر.. أن اعتبار - تشــو - الجمل نوعــين: توليدية (وهى الأصل)، وتحويليــة (وهى الفرع).. إنما هو قول مغلــوط لا «يعى» طبيعة -توالد - الجمل عند الناس، ولا ســيما الأدباء، وقــد بينت، خلال البحث، غلط مصطلحيْهِ هاذين. إن نظره هو نظر -عالم - يحدق فى الجمل على الورق، أو بعد أن تصبح أصواتًا مسموعة، وليس نظر - فيلسوف - أو - ناقد - ينظر إلى الحافز، فى ذات الإنســان - عامة - وذات الأديب، خاصة - الحافز الذى أدى - بدءًا - إلى اختلاف ترتيب نفس الكلمات ما بين متكلم وآخر، أو ما بين أديب منتج للأدب، وبين عالم يعبر عن علمه باللغة. فتختلف التعبيرات - بدءًا - لا - تحويلاً.

حاجة العرب إلى التفكير والتفكُّر:

- إن العــرب (والمســلمين جميعًا) فى حاجــة إلى أن يتفكروا، وأن يشــكوا، وأن ينقدوا، وأن يحللوا)... ليتجاوزا ما فى الماضى من كذب وأخطاء - وليحدقوا فيما يأتيهم من الغرب. فليس كل ناعق فى الغرب ذا صــوت مطــرب، ولا كل مــن ســوَّد صفحات منهم عــالم أو مفكر.. مجرب. بل - كثير منهم.. فكره هزيل، وسلوكه باطل وللحق يزيل.

- وهذه الصفحات.. لعلها هى الصفحات العربية، والإسلامية التى «حاولت» أن تضع ابن خلدون - رحمه الله تعالى - فى موضعه الطبيعى - ولا سيما فى آرائه فى اللغة وفى - حياديته - حيال ما يناقش، وفى فقده لمرجعيةٍ تجعل لفكره هدفًا قِيَمِيًّا، ولآرائه.. دافعًا إصلاحيًا.

لقد قسما البحث قسمين:

القسم الأول.. بيَّنَّا بعض الآراء غير السديدة لابن خلدون، فى اللغة، وفى مجالات أخرى. وكان أن عرضنا للمجالات الأخرى على نحو مختصر، عنده: عندما كانت خارج ميدان اللغة، وعلى نحو أوسع، فيما كان فى ميدان اللغة.

- **والقسم الثانى**.. جعلناه تحت عنوانين: الأول - آراءٌ صائبةٌ فى اللغة لابن خلدون، والثانى - مقارنة موجزة بين آراء ابن خلدون، والإمام الجرجانى - وبين آراء هذا العالم اللغوى الغربى الدكتور - تشو مسكى - وقد ظهر، من خلال الدراسة أن هاذين العالمين العربيين.. قد سبقا - تشو - إلى ما أتى به من أفكار فى اللغة. وجُلّ جهده.. انحصر فى تفصيل هذه الآراء، ليس أكثر. ولا نظن أنه أطلع على ما كتبا، بل هو اجتهاده الشخصى، لأن علماء الغرب لا يعتقدون أنّ علماء العرب.. جاؤوا بشيء يذكر فى فقه اللغة، أو فلسفة اللغة.

- وقد اعتمدت فى بحثى منهج التحليل والتدليل والتعليل، والمقارنة، والمفارقة، والشك والنقد. كل ذلك.. من خلال اطراح التسليم بما كان، وعرضه على التفكرِ (وليس الاكتفاء بالتفكير)، وعلى التفهُّم وليس الاكتفاء بالفهم، معملًا ملكتىْ (الشك - النقد)، والتحليل.

- والله تعالى أســأل أن أكون قد وُفِّقْــت، لأني إلى الحق دون غيره توجهت، وهو وَحْدَهُ تعالى غفار الذنوب، ومُفَرِّج عن عباده الصالحين الكروب.

والله تعالى المستعان، وعليه التوكل، ومنه الفضل والإحسان.

ص.ب عمان / مرج الحمام / مكتبة (أم القرى).

- هـ = ٠٧٨٥٥٤٢٠٦٩

المؤلف

د. عودة الله منيع القيسي

1 - Email= Profllll@hotmail.com

2 - = Dr.awdat-allah-peisy@hotmail.com

تمهيد

لمحة عن فكر ابن خلدون

هــو عبد الرحمن ابــن[1] محمد ابن خلدون (ت٨٠٨). وهو تونســي المولــد. ولكنه تنقل، فى كل شمال إفريقيــة، وفى الأندلس، وزار مكة المكرمة حاجًّا، ثم وضع عصا الترحال فى مِصْرَ. فاشتغل فيها بالتدريس والقضاء كما كان قد اشتغل بالسياسة، وهو فى شمال إفريقية، ولكنه لا يخلو من (انتهازية) فى السياسة التى تخلى عنها، أو تخلت عنه –بعد أن استقرّ فى مِصْرَ.

وابن خلدون كان منارة ســاطعة، فى مجال الفكر، فى عصر انحط فيــه الفكر والنظــر، وغلب فيــه التقليد. وكان جُلُّ جهــد علماء هذا العصــر الــذى عاش فيــه ابن خلدون بــل جل جهــود العلماء، بعد القــرن الرابع حتى نهاية القرن الثالثَ عَشَــرَ الهجــرى.. هو الجمع والتصنيف، والشــروح، والحواشي والتعليقات. لما سبق، وجمع الغث فيه إلى جانب الســمين، من غير شك، ولا نقد، ولا تمحيص، ولذا.. كان طابــع هذه العصور «التبرير» لكل ما تركه الأســلاف، فى القرون الأربعــة الأولى – الزاهرة. وغابت –تحت وطــأة هذا المنهج – حتمية

---

(١) (ابن) اكتبها، أينما وردت، مبدوءةً بألف. لأن القدامى كانوا يحذون الألف، فى حالات، لبُطء الكتابة اليدوية – ولشــحّ أدوات الكتابة. ولأنه قد – زال هذان السببان، فلم يعد لحذف الألف من مبرر.

(الأسـباب والمسـببات) التي وضعها الله تعالى في الأشياء، وأن الكون كله يقوم على (قوانين) ثابتة، تنبثق عنها الأسباب والمسببات. فلا يتمّ شـيء إلا على قانون، وبأسـباب... إلاّ أن يكون «لطف» من الله تعالى يأتي من مشـيئته - الخاصة. هذا اللطف الذى ورد فى القرآن الكريم - تعبيرٌ عنه مرارًا. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢]، فإجابة المضطر وكشف السوء يأتيان بأمـر الله تعـالى، عندما يريد أن يلطف بأحد من عباده أو بجماعة من الجماعات. لأن الله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ [البروج: ١٦].

ولأنهم نسوا منهج الشك، والنقد، والأسباب.. فقد قبلوا «طامات» وخرافيـات وغرائبيـات، وإسـرائيليات يردها النظـر العقلى المتبصر، قبلوها.. فى التاريخ. والأخبار والحكايات، وفى ما أورده ابن إسحاق. ثم ابن هشام - رحمهما الله تعالى - فى سيرة رسولنا العظيم. بل قبلوها فى الأحاديث، فكان كثير من الأحاديث قد اعتراها الوضع[1].

وفـى هذا الظـلام نُصِبتْ منارة هى ابن خلـدون -رحمه الله تعالى - (والحق.. أنه كان إلى جانبه، وَبِطول قامته، لكن فى مجال «الفقه» علمان كبيران، ومنارتان سـاطعتان، هما: أحمد ابن تيميـه (ت٧٢٨) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت٧٥١). وهما فى المشـرق. وعَلَمٌ ثالث يوازيه - وهو: الشاطبى (ت ٧٧٩) -رحمه الله - وهو من الأندلس، من مدينة شاطبة.

(١) فى كتاب لى مخطوط، مكون من خمسة أجزاء، درست سيرة الرسول المعصوم، وبيّنتُ - بالدليل - أن - مئة بالمئة (١٠٠٪) من أخبار العهد الملكى، حول إضرار قريش بالرسول غير صحيح؛ لأن أسانيد هذه الأخبار ضعيفة، أو غير كاملة (= ناقصة)، ولأنها - لا تتفق مع القرآن المجيد.

١ - منهج ابن خلدون:

- يقوم منهج ابن خلدون على الاستقراء، للواقع الراهن فى أيامه، والواقع التاريخى وعلى الوصف، والتحليل والاستنتاج - والتعليل - والأخذ بالأسباب). وهذا.. منهج افتقدناه، منذ نهاية القرن الرابع الهجرى. حاشا الإمام أبا حامد الغزالى (ت ٥٠٥) وهو المنهج الصواب، فى النظر إلى الأمور، ووضعهما فى واقعها الصحيح، وصورتها الصادقة. وبعده المتفلسف ابن رشد (ت ٥٩٥) وهو أندلسى ولكن غلَّب الحكمة (الفلسفة) على الشريعة (الدين).

٢ - لم يطبق منهجه هذا على تاريخه:

- بَيْدَ أن ابن خلدون.. لم يطبق هذا المنهج الذى اتبعه فى (مقدمته) وهى مقدمة تاريخِهِ: (العبر...) فلم يلتزمه فى (تاريخه) هذا. بل أورد فيه أخبارًا لا تصدق، نقلها عن المؤرخين السابقين، دون شك، وتمحيص.

- وهذا.. أمر يمكن «تفهمه»، لأن التنظير أسهل من التطبيق، كثيرًا أما ترى الفلاسفة ينظرون للأدب، أو الفن عامة. ولكنهم لا يستطيعون النقد «العينى»[1] للأدب والفن. وحتى أرسطو اليونانى لم يقدم نقدًا عينيًا للشعر، فى كتابه (فن الشعر) وإنما قدم تنظيرًا عما يجدر أن يكون عليه الشعر المسرحى خاصة.

وسبب ذلك.. أن التنظير فكر بحت، والفكر.. تصور عقلى

---

(١) النقد العينى هو - عكس النقد (التعميمى)، فهو يقوم على التحديق فى الكلمة فى جملتها، والجملة فى سياقها، أو فى فقرتها، والسياق فى جزء من النص، والجزء فى باب من أبواب النص، والباب.. من خلال النص كله، ولكن أساسه هو التحقيق فى الكلمة، والجملة، والفقرة.

موحَّد (غــير مركب) وغير ذى مرجعية، أما تــرى أن أدنى المثقفين.. يستوعب نظريات الفلاسفة؟.. أما التطبيق.. فهو تصور مُركّب ذلك لأنه لا يقتصــر على العقل وَحْدَهُ وإنما يضاف إليه، ويندمج به ذوق الناقد، ووجدانــه وعاطفته وشــعوره. وهذه الوجدانيات.. ليســت نامية، عند الفلاســفة، بقدر نمو العقل عندهم. هذا التقسيم، أو التنويع بين العقل والوجدانيات.. شيء فطرى خَلْقى، فالإنسان لا يملك تغييره، وإن كان يملك تحسينه بعض الشيء عن طريق الممارسة والدربة؟ هذا.. فضلاً عن إلمام بعلم النفس البشــرية، وثقافة المجتمعات، وببعض مبادئ العلوم، وبمعرفة بالتاريخ.

– هكذا.. فى الأدب، وهكذا.. فى التاريخ، والأخبار.. وهكذا.. فى كل ميدان.

– وفــى نقد الأدب.. لابــد من الإلمام بجملة علوم، لكى يكون الناقد ناقــدًا حاذقًا، من ذلك.. معرفة بفقه اللغة، واســتعمالاتها، وقدرة فى الملكة اللغوية ذاتها، ومعرفة بالنحو، والبلاغة، ومبادئ النقد، ومعرفة بالفطرة البشــرية، وطبائــع الاجتماع، ومعرفــة بالعلاقة المحكمة بين مختلف عناصر الكون.

– وفى مجال النقد التاريخى.. لا بد من الإلمام باتجاه حركة التاريخ، فى الحقبة التى يدرسها الناقد، ومعرفة بطبيعة النفس البشرية، وقوانين الاجتماع، بل – وقوانين الكون، ومعرفة بأنماط الشخصيات الإنسانية – الأربعــة. ومعرفة بمحور كل شــخصية (أو محور كل نمط) تدور حوله، قد تخــرج عنه قليلاً، وليس خروجًا بعيدًا، ولكنها – غالبًا – لا تغادر هذا المحور.

٣ - طبيعة نظريات ابن خلدون:

ابن خلدون.. عن طريق منهجه العلمى السابق - استطاع أن يضع نظريات، فى السياسة، والاجتماع، والاقتصاد وأن يقدم نظرات فى اللغة، وفى الأدب.. بَيْدَ أنه لم يكن مفكرًا «طليعيًا» كما يقال فى هذه الأيام. أعنى أن نظرياته كانت استخلاصًا من الواقع والتاريخ - الإسلامى، من غير أن يطور أى نظرية لتستشرف المستقبل. أى لم يستطع أن يستشرف المستقبل، عندما قرر أن الدول لا تقوم إلا على «عصبية»[١]، مع أن الدول فيما بعد صارت تقوم على وحدة فكرية أو أيديولوجية، أو على نظم حزبية، أو على تجمع تؤلف بين عناصره، وفئاته -المصلحة، أو الأهداف المشتركة.

- ولعل من أسباب عدم استشرافه المستقبل.. أنه كان مفكرًا واقعيًا ومحايدًا، حتى العظم كما يقال. فصرفته رؤيته الواقعية المحايدة عن استشراف المستقبل وبالمقابل، صرفته عن ربط نظرياته بأصولها العقائدية[٢].

مثلاً.. العلماء الأوائل الذين جمعوا اللغة ما بين النصف الثانى

(١) انظر: على عبد الواحد وافى - الظاهرات الاجتماعية فى موضوع مقدمة ابن خلدون، ٤٥، القاهرة، منشورات المركز القومى، ١٩٦٢.

(٢) انظر: الدكتورة زينب محمود الخضيرى، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ٢٦، بيروت، دار التنوير، ١٩٨٢م، تقول الباحثة: (أول من درس الظواهر الاجتماعية، فى حد ذاتها، لا لبيان ما ينبغى أن تكون عليه)، ٧٩. أقول: للأمانة العلمية.. لقد توصلت إلى مثل رأى على عبد الواحد، وإلى مثل رأى زينب محمد، من تدبرى للمقدمة، وقبل أن أقرأ أى بحث يتناول المقدمة فابن خلدون - كما قالا - هو باحث محايد، يدرس الظواهر لذاتها، لا لغاية وراءها.

مــن القرن الأول الهجرى، ومنتصف القــرن الثالث.. قيدوا جمع اللغة بالقبائل الســبع التى نزل القرآن الكريم وفيها ألفاظ كألفاظه، لأنهم لم ينظروا إلى اللغة نظرة محايدة، وإنما نظروا إليها على أنها لغة القرآن[١] فجمعوا منها ما يحفظ بقاء القرآن، حيًا طريًا، مقروءًا بلغته[٢].

أما ابن خلدون.. فلم يقيد اللغة بأصل، وإنما قبل – العاميات – فى المدن والأرياف – كما قبل الفصحى (أو لغة مضر – كما يقول) ولو كان يقيــد اللغة بأصلهــا الدينى (الأصل الذى جمعهــا العلماء من أجله) لما تقبل العاميات، ورأى أنها لها بلاغتها، وأنها يمكن أن يُســتغنَى بها عــن الفصحى (= لغة مضر) مع بعض التعديلات، وقيام بعض الهيئات فيهــا التى تجعلها – كما يــرى – «مُغْنيةً» عن الفصحى – لغة مضر – لــو كان يقيــد اللغة بأصلها الدينى لكان يدعــو إلى الاهتمام بالفصحى، وإبعاد العاميــات.. لأن الفصحــى لغة يُفهم بها القــرآن الكريم أو فيها ألفاظ كألفاظ القرآن الكريم.

– ومثــل آخر.. لا يقل عن هذا فى عدم تقييد رؤيته – بأصل – ترجع إليه.. حديثه عن (الطب) عند الرسول العظيم – صلى الله عليه وسلم – فقد

---

(١) انظــر: رأيى فى أن العربية ليســت لغــة القرآن. لأن القرآن قديــم، والعربية حادثــة – لأنــه كلام الله، وكلام الله صفتــه، وصيفاته قديمــة، كلّ مافى الأمر أن فى العربيــة ألفاظًــا تماثل ألفاظ القــرآن. على اختلاف بينهما فى – الســبْك. فى كتابى: [العربية الفحصى..] عمان/ دار البداية – ٢٠٠٨م.

(٢) – صحيــح أنهم – على جهودهم المشــكورة – أخطــأوا فى جمع كل ما وصل إليهــم مما نطقت به القبائل الســبعة، لأن بعض ما نقطت بــه بعضها خارجٌ عن حدود الفصحى (وبعضه ألفه – كذبًا – الأعرابُ أو النحاةُ) أربك النحو وعقده، وحمل النحاة علــى كثــير من التكلفــات والتعليلات الشــكلية. (نظ: كتابــى – رؤئ نحوية وصرفية تجديديّة – جــ٢).

كان رأيـه أن الطب النبوى كان مـن الطب الذى كان معروفًا عند العرب، فى زمانه -صلى الله عليه وسلم - ومع أن ذلك صحيح إلى حدٍّ ما، فمعظم الطب النبوى - (ما عدا ما كان يَرْقى به - صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم، أو من دعائه الشـريف) - قدَ كان معظمه مما تعارف الناس عليه فى زمانه من الوصفات العلاجية - بَيْدَ أن ابن خلدون لم يفرق بين القدرة الشـفائية فى الوصفة التى يشير بها الرسول الكريم، وفى الوصفة نفسها، عندما يشـير بها غيره، فالوصفة ذاتها شـافية - بإذن الله تعالى - عندما يشير بها الرسول الكريم، أو - غير ضارة - على الأقل، أما... عندما يشير بها غيره، فقد تشفى، وقد لا تشفى، وقد لا تضر، وقد تضر.

لـمـاذا؟

- السـبب أن الرسـول -صلى الله عليه وسـلم - مهـدى من ربه. أما قـال الله تعـالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. والرسـول -صلى الله عليه وسـلم - رأس المتقين؛ بل إمامهم فالله تعالى «يعلمـه» ولهذا.. فالرسـول الكريم، لا يقبل العقـل - المتصل بالعقيدة (أى - متصل بالعقل الكلى، والمتمثل بالقرآن الكريم)[1] -أنه-صلى الله عليه وسلم - يصف دواءً لشخص[2] يؤدى إلى هلاكه، وإلا.. فلن يصف

---

(١) انظـر: مبحـث: (تأصيـل - للعلاقة بـين العقـل الكليّ-والعقل الجزئى) ففيـه تفصيل لهذا الموضوع - موجود فى الجـزء الأول، من الفصل الأول، من كتابى (العصمتان) معدّ للطبع.

(٢) كلمـا وردت الهمـزة بعد الألف فـى آخر الكلمة منونة تنويـن النصب أوردت بعدها (ألفًا) وجعلت التنوين عليه، سواءً أكان الذى يسبق الهمزة ثالثًا أو رابعًا وأكثر، نقول: (بناءًا) على ذلك، ونقول كذلك: (اسـتفتاءًا) على ذلك. فلا فرق فى الحقيقة بين الكلمـة الأولى والثانيـة إلا أن الأولى ثلاثية والثانية سداسـية، لأن النصب واحد فى=

الرسـول دواءً لأى شـخص، لأنه، لـو لم يكن مُعلَّمًا مـن الله تعالى.. فحاشـاه أن يغامر بوصف دواء قد يؤدى إلى هلاك المريض، لأن الرسول المهـدى من ربه، فى مثل هذا الأمر الخطـير الخطير لا يعقل أن يبنى وصفتـه الطبية علـى الاحتمال. أما غيره من الأطبـاء، فى القديم، وفى الحديـث - فمعظم طبه، ووصفاته الدوائيـة مبنية على الاحتمال، فقد تنفع كثيرًا، ولكن قد تضر، أحيانًا.

وكل ذلك بتعليم - من الله تعالى، لرسـوله - صلى الله عليه وسـلم - والله تعالى أعلم.

هل نعممُ وصفات الرسول؟

وهـذا.. يعنى، أن الدواء الذى وصفه الرسـول -المعلم - لمريض، لا يصح أن نصفه نحن لكل من أصيب بالمرض نفسه الذى أصيب به من وصف له الرسـول الكريم هذا الدواء. وإنما لابد من معرفة حالة المريض من قبل طبيب مختص، يعتمد على الفحوص والمختبرات، فى تشخيص المرض، وما قد يرافقه من أمراض أخرى، قد لا يصلح - بسـببها - هذا الدواء لهذا المريض، لما قد ينتج عن اسـتعماله من مضاعفات. إلا... إذا أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم - الوصفة صفة العموم.

=الحالتين. فكما نقول: (سماعًا)، ونقول: (استرجاعًا) فنقول (استدعاءًا)، فلماذا الفرق بين الكلمة التى يرد فيها الألف ثالثًا وبعده همزة وبين الألف عندما يرد رابعًا أو خامسًا أو سادسًا. وبعده همزة، ونحن لا نفرق بينه، ثالثًا كان أو أكثر عندما يأتى بعده حرف صحيـح؟ لا فرق جديرًا بالاعتبار لكـى نجعل من أجله قاعدة إضافية. وفضلًا عن هذا.. والهمـزة هـى حرف صحيح، ومخرجهـا من الحلق -كمخرج-العـين - ونحن نقول: اسـترجاعًا - فنجعل بعد العين ألفًا منونة بتنوين الفتح، والهمزة أخت العين، فيجدر أن تُعامل معاملتها.